الجانب الخُلقي من سورة القلم

إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري
قسم القرآن وعلومه ، كلية أصول الدين - الرياض
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، والصلاة على الرسول الكريم ، صاحب الخلق العظيم ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا ، أما بعد :

فإن الأخلاق من أهم المقاصد التي تضمَّنتها كثير من آيات القرآن وسوره ، ذلك لأنها الرافد الأساس الذي يستقى منه لتزكية النفس الإنسانية ، وتقوم عليه الدعوة الإسلامية وحضارتها .

ولا ريب أن كل انحراف في الاعتقاد أو تسيب في السلوك ينبعث من فساد أخلاقي ، ليس على نطاق الأفراد فحسب ، وإنما على مستوى الدول والشعوب .

وإنّ كتاب الله تعالى هو الضمان القوي الذي يحفظ لأمة الإسلام هويتها ويسمو بأخلاقها ، حيث يجد فيه المسلم المتدبر لمعانيه كل ما يلبي حاجاته في مجال الأخلاق ، فهو وحي الله ، نور في هدايته ودلالته ، كمال في شرعته ومنهاجه ، معجز في صياغته وأسلوبه ، قد حوى من الظواهر الخلقية على مر تاريخ البشرية منذ فجرها ما يشكل قاعدة أخلاقية متكاملة في سائر أنشطة الإنسان وعلاقاته .

لذلك تأكدت العناية بتأصيل الدراسات الإسلامية في مجال الأخلاق ، حيث لا تزال كثير من مخرجاته تنبثق من الثقافات اليونانية وغيرها .

وتأتي هذه الدراسة إسهاما في إبراز هدايات القرآن الكريم في مجال الأخلاق من خلال سورة القلم ، إذ يعتبر الخلق من أهم موضوعاتها ، بل هو محورها الأساس الذي تتسق جميع موضوعاتها فيه ، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : ((سورة ن هي سورة الخلق[١])) .

وتنتظم هذه الدراسة فيما يلي :

معنى الخُلق ومفهومه

سورة القلم

نزول السورة

مقصد سورة القلم وموضوعاتها

معاني السورة وملامحها الخُلقية

الأسس الأخلاقية في سورة القلم (المعرفة _ التربية _ والسلوك)

الخاتمة

* * *

معنى الخلق ومفهومه :

والخُلق بضم اللام وسكونها ، والجمع : أخلاق ، وتطلق في اللغة على السَّجِية والطبع والعادة والدين[2] ، ومعنى هذا أن الأخلاق تقع على قسمين أولاهما: ما فطر عليه الإنسان من الأفعال الجميلة أو القبيحة ، وذلك ما دلت عليه لفظتا السجية والطبع ، وثانيهما: ما نتج عن دُرْبَةٍ – وهو ما دلّت عليه لفظة العادة[3] – أو تديّن ، وعلى هذين المعنيين جاء تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ القلم/٤ ، فمن فسره بالدين أو الأدب أراد المعنى الثاني ، ومن فسره بكرم السَّجيَّة أراد المعنى الأول[4] ، وقد جمع بينهما الرسول ﷺ ، فتلك من عظمة خُلقه عليه الصلاة والسلام[5] .

وعلى المعنى الثاني جاء قوله تعالى : ﴿ **إِنْ هَـذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ الشعراء/١٣٧ ، بمعنى : « إن هذا إلا عادة الأولين ودينهم[6] » .

وهذه المعاني تدل على سعة مفهوم الأخلاق ، فهي لا تنحصر في التحلي بالفضائل أو التخلي عن الرذائل فحسب ، وإنما تشمل كل ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في طبعه وسلوكه معرفة وعملا ودعوة ، وذلك ما ستتم دراسته في سورة القلم من خلال التعرف على تاريخ نزولها ، وتفهم مقصدها وتدبر مثانيها ، وما بينها من المناسبات ، وما تضمنته من أسس الأخلاق .

ولْنُنصت أولا إلى ما تمليه هذه السورة العظيمة ، لنستلهم منها التوجيهات الربانية والمقاييس الأخلاقية .

سورة القلم :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ(١)مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ(٢)وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ(٣)وَإِنَّكَ لَعَلى
خُلُقٍ عَظِيمٍ(٤)فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ(٥)بِأَيِّيكُمْ الْمَفْتُونُ(٦)إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(٧)فَلَا تُطِعْ الْمُكَذِّبِينَ(٨)وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ(٩)وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ(١٠)
هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ(١١)مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ(١٢)عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ(١٣)أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ
وَبَنِينَ(١٤)إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(١٥)سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ(١٦)إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا
بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(١٧)وَلَا يَسْتَثْنُونَ(١٨)فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ
رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ(١٩)فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ(٢٠)فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ(٢١) أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ
كُنتُمْ صَارِمِينَ(٢٢)فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(٢٣)أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ(٢٤)وَغَدَوْا
عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ(٢٥)فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ(٢٦)بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(٢٧)قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ
لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ(٢٨)قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(٢٩)فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
يَتَلَاوَمُونَ(٣٠)قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ(٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا
رَاغِبُونَ(٣٢)كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٣٣)إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ
النَّعِيمِ(٣٤)أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ(٣٥)مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ(٣٦)أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ
تَدْرُسُونَ(٣٧)إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا يَتَخَيَّرُونَ(٣٨)أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا
تَحْكُمُونَ(٣٩)سَلْهُم أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ(٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا
صَادِقِينَ(٤١)يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ(٤٢)خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ
تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ(٤٣)فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ
سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ(٤٤)وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ(٤٥)أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ
مُثْقَلُونَ(٤٦)أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ(٤٧) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ
نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ(٤٨)لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ(٤٩)فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ
مِنْ الصَّالِحِينَ(٥٠)وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ
لَمَجْنُونٌ(٥١)وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ(٥٢) ﴾

نزول السورة :

سورة القلم معدودة في السور المكية التي نزلت قبل الهجرة ، وقيل: إن بعضها مدني[٧] ، والجمهور على أنها جميعها مكية ، وحَكى غير واحد الإجماع على مكيتها كلها[٨] .

كما اختُلف في تحديد موقعها في النزول ، فعدها بعضهم ثانية السور نزولا بعد سورة العلق[٩] ، ويؤيد ذلك ما بين السورتين من أوجه الشبه في بعض الآيات ، ومنها ما يتعلق بالعلم والخلق ، حيث نوه الله بالقلم في السورتين ، كما أن سورة العلق تناولت في مطلعها خَلق الإنسان ، في حين سورة القلم تناولت خُلُقه ممثلا في أنموذجين : الأول هو الرسول ﷺ ، ويمثل القمة في الخلق الخيّر ، والثاني الحلاف الهماز .. ، ويمثل الخلق السيء ، والخَلق والخُلق أصلهما اللغوي واحد ، وهو التقدير[١٠] ، غير أن الخُلق يطلق على صورة الباطن ، والخَلق على صورة الظاهر[١١] ، « وحقيقة الخلق في اللغة هو ما يأخذ به الإنسان من الأدب يسمى خُلقا ، لأنه يصير كالخِلقة فيه[١٢] »

وذهب جمهور العلماء إلى أن سورة المدثر هي الثانية نزولا ، فتكون سورة القلم هي الثالثة نزولا ، أو هي الرابعة بعد سورة المزمل[١٣] .

وبهذا يتبين أن سورة القلم من أوائل ما نزل من القرآن الكريم ، ولا يخفى أن لهذا النوع من السور المكية موضوعاتُه التي تبين ملامحه ، ومقاصدُه التي تميزه .

مقصد سورة القلم وموضوعاتها :

تنتظم سورة القلم في عِقد المكي من المفصَّل ، وأكثر هذا النوع يتناول قضية واحدة طالت السورة أو قصرت[١٤] ، وغالب المكي مقرِّر لثلاثة معاني ، أحدها : تقرير الوحدانية لله الواحد الحق ، والثاني : تقرير النبوة للنبي محمد ﷺ وأنه رسول الله حقا ، والثالث : إثبات أمر البعث والدار الآخرة ، وأنه حق لا ريب فيه .

والمتأمل في هذه السورة العظيمة يجد أن مِلاك أمرها الذي يَقومُ نظامها عليه هو تقرير النبوة لسيدنا محمد ﷺ والدفاع عنه ، وأما ما قد يُتوهم خروجه من عِقد هذا النظام المحكم والمحور الأساس فإنه مع التدبر يتضح انطواؤه في ركابه .

وذلكم المحور المختص بتقرير النبوة يرد في القرآن على وجوه متعددة كما هو مقرر عند العلماء[١٥] ، فعلى أي الوجوه جاءت هذه السورة ؟

و كّد شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في مطلع تفسيره لهذه السورة على أنها : « سورة الخُلق »[١٦] ، ولقد طبّق المِفصِل رحمه الله ، فإن سورة القلم هي إحدى السور الثلاث التي نزلت بعد سورة العلق ، ومعنى ذلك أنها نزلت في فجر الوحي ، حيث كانت الحياة السائدة مفككة نتيجة الانحراف العقدي والانحلال الأخلاقي ،

فجاءت هذه السورة من أجل إحداث نقلة أخلاقية أبرز الله – تعالى ذكره – فيها العنصر الأخلاقي متمثلا في هذه الرسالة الخالدة ونبيها الكريم ﷺ[17] ، كما أن هذا يشير إلى دور الأخلاق في تأسيس الدعاة وحملة الدعوة ، وإعدادهم لتحمل أعبائها وإهدائها إلى الناس كافة ﴿ **وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** ﴾ (القلم/٥٢) .

ولقد اشتملت هذه السورة على عدة موضوعات كلها لها صلة وثيقة بذلكم المقصد ، وهو كما يلي :

أولا – افتتاحية السورة : في العلم ، والقسم على كمال عقل رسوله ﷺ ، وعظيم خُلقه ، وتمام أجره . (الآيات١-٧) .

ثانيا – في نهيه عن طاعة المكذبين وذوي الأخلاق الفاسدة . (الآيات٨-١٦)

ثالثا – فيه بيان حال البخلاء وعقوبتهم ، وذلك من خلال قصة أصحاب الجنة ، والتذييل عليها بالجزاء الإلهي في الدنيا والآخرة (الآيات١٧-٣٣) .

رابعا – في جزاء المتقين ، وعقوبة المكذبين للرسول ﷺ وتوبيخهم ومحاجتهم (الآيات٣٤-٤٧) .

خامسا – وفيه الخاتمة بالإخبار عما انطوت عليه نفوس المشركين من الحسد وما يتولّد منه ، وأمْر الرسول ﷺ بالصبر على أذاهم . (الآيات٤٨-٥٢) .

ففاتحة السورة وخاتمتها أفصحت عن هذا المقصد ، وما اكتنفتاه وقع مقرّرا وموضحا له ، وبذلك تعانقت أجزاء السورة حول ذلكم المقصد المنيف .

معاني السورة وملامحها الخُلقية :

يتضمن هذا المبحث الوحدة الموضوعية ، وذلك لإيضاح مقصد السورة وبيان نسقها الأخلاقي من خلال الموضوعات – الآنفة الذكر – التي تتكون منها السورة .

كما يقتضي البحث الإشارة إلى بيان المفردات والمعاني التي تحتاج إلى إيضاح ، وذلك في مقدمة كل فقرة على وجه الإيجاز .

أولا – افتتاحية السورة :

قال الله تعالى : ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ(١)مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ(٢)وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ(٣)وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ(٤)فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ(٥)بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ(٦)إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(٧)** ﴾ (الآيات١-٧) .

قوله تعالى : ﴿ ن ﴾ « حرف مُقطّع في قول جمهور المفسرين »[18] ، وهي أول ما نزل من تلك الحروف .

قوله تعالى : « وَالْقَلَمِ » ، قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : « الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به »[١٩] ، وقيل غير ذلك[٢٠] .

قوله تعالى : « غَيْرَ مَمْنُونٍ » : « غير مقطوع ولا منقوص »[٢١]

قوله تعالى : « بِأَيِّيكُمْ الْمَفْتُونُ » : أي بأيكم الجنون[٢٢] .

* * *

أقسم الله تعالى في مطلع هذه السورة بالقلم ومسطوره[٢٣] ، وبذلك رجعت بالرسول ﷺ إلى أول ما أوحى الله به إليه[٢٤] ﴿ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(٣)الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(٤)عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ (العلق/٣-٥) ، لأن العلم من أبلغ الأدلة العقلية الدالة على صدق رسوله ﷺ[٢٥] ، وهو أحد الدواعي إلى التحلي بالأخلاق العظيمة ، فلذلك وقع القسم بالقلم « لشرفه بأنه يكتب به القرآن ، وكتبت به الكتب المقدسة ، وتكتب به كتب التربية ومكارم الأخلاق والعلوم »[٢٦].

والمقسم عليه ثلاثة أمور كلها تخص الرسول ﷺ ، وهو قوله تعالى : ﴿ **مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ(٢)وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ(٣)وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (الآيات٢-٤) ، وجميعها تدل على صدق رسالته :

أما **الأول** : فهو تبرأة له مما رمي به من فرية الجنون ، لأن ما جاء به من نعمة الإسلام يتنافى مع هذا الوصف المفترى .

الثاني : إثبات كمال الأجر له ، ومقتضى ذلك أن ما جاء به حق ، ولو كان باطلا لاستحق الذم والعقاب[٢٧] .

الثالث : التنويه بعظمة خلقه ، وذلك يدل على صدق الرسالة من عدة وجوه منها :

١. أنه توفر له من الكمال الخُلقي ما لم يتصف به أحد قبله ولا بعده[٢٨] ، فهو أكمل الخلق ، وأفضل الرسل ، فلذلك كان عظيما في خلقه ، صدوقا في رسالته .

٢. « أن ذلك الكمال الأخلاقي الذي اتصف به النبي محمد ﷺ كان دليل النبوة القاهر الذي ألزم الكثيرين الإيمان بنبوته من قبل أن يروا خارقا حسيا ، وهم أمثال خديجة أم المؤمنين وأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وغيرهم »[٢٩] ، ففي الصحيحين أن خديجة رضي الله عنها قالت للرسول ﷺ في حديث بدء الوحي قبل أن يوحى إليه بالرسالة : « كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكَلّ وتَكسِب المعدوم ، وتُقرئ الضيف ، وتعين على نوائب الحق »[٣٠] ، قال عماد الدين ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : « ومن الدلائل المعنوية أخلاقه عليه الصلاة والسلام الطاهرة وخلقه الكامل »[٣١] .

٣. عَظمة الخلق دليل على عِظم الحق الذي دعا إليه[٣٢] .

وقد استمد النبي ﷺ تلكم العظمة الأخلاقية من أدب القرآن الذي أدّبه الله به ، فإن عائشة (ت٥٨هـ) رضي الله عنها لما سُألت عن خلق الرسول ﷺ قالت : « كان خلقه القرآن » ، أما تقرأ : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ »[٣٣] ، وعبّر ابن عباس (ت٥٨هـ) رضي الله عنهما عن الخُلق في هذه الآية بالدين[٣٤] ، وذلك لأنه مما بعث من أجله ، كما في الحديث الشريف : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »[٣٥] ، وتصديق ذلك في القرآن العظيم ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ **كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ** ﴾ (البقرة/١٥١) ، قال عماد الدين ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : « يزكيهم : أي يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية »[٣٦] ، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : « الرسول ﷺ بعثه الله تعالى هدى ورحمة للعالمين ، فإنه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية ، فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس والرحمة بلا عِوض ، وبالصبر على أذاهم واحتماله ، فبعثه بالعلم ، والكرم والحلم ، عليم هاد ، كريم حسن ، حليم صفوح »[٣٧] .

وذلك كله يبين البعد الأخلاقي الكامن في تعاليم الإسلام جميعها عقيدة وشريعة وسلوكا ، « فهي تبتغي جميعا تهذيب النفس ، وإصلاح المجتمع والارتقاء بالأخلاق إلى أرفع منازلها »[٣٨] .

وتعتبر هذه الآية العظيمة ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ هي مفتاح سورة القلم ، ولهذا وقعت في آخر ما أقسم الله عليه ليكون ما بعدها تقريرا وتفصيلا لها ، حيث أعقبها الله جل وعلا بإبطال ما يتنافى مع خلقه العظيم مما رموه به من البهتان المبين ، « وفرّع عليه أنهم إذا نظروا الدلائل وتوسموا الشمائل علموا أي الفريقين المفتون »[٣٩] .

ومن ثَم طفقت الآيات تكشف عن أخلاق الكذب والدناءة لدى الكافرين تُنفِّر منها أشد التنفير .

ثانيا ـ المكذبون ورذائلهم :

قال الله تعالى : ﴿ **فَلَا تُطِعْ الْمُكَذِّبِينَ(٨)وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ(٩)وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ(١٠)هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ(١١)مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ(١٢)عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ(١٣)أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ(١٤)إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(١٥)سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ** ﴾ (الآيات٨-١٦) .

قوله تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ أي ودوا لو تصانعهم في الدين فيصانعونك »[40] ، وفيها أقوال أخرى لا تخرج عن ذلك[41] .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴾ : « ﴿حَلَّافٍ﴾ : كثير الحلف في الحق والباطل ... ﴿ مَهِينٍ ﴾ من المهانة وهو القلة والحقارة ، يريد القلة في الرأي والتمييز ، أو أراد الكذب لأنه حقير عند الناس »[42] .

قوله تعالى : ﴿ هَمَّازٍ ﴾ : قال ابن عباس (ت٦٨هـ) رضي الله عنهما : « يعني الاغتياب »[43] ، وقال الإمام البخاري (ت٢٥٦هـ) : « يهمز ويلمز : يعيب »[44] ، فالهماز يطلق على العيّاب ، وعلى المغتاب .

قوله تعالى : ﴿ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ : « يقول : مشاء بحديث الناس بعضهم في بعض ، ينقل حديث بعضهم إلى بعض »[45] .

قوله تعالى : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ : العتل في اللغة الغليظ الجافي ، والزنيم : الدعيّ ، والزنمة اللحمة المتدلية من أذنها ومن الحلق[46] ، « فهو الجبار الفظ الغليظ ، الذي قد صار من شدة تجبره وغلظه معروفا بالشر مشهورا به ، لأن زنمه كزنم الشاة »[47] .

قوله تعالى : ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ : « معناه سنسمه على أنفه »[48] .

* * *

عادةُ القرآن في روافد البناء التحذير مما يعوقه ، وحمايته مما يهدمه ، وصيانته مما يقلل من قيمته ، ولذلك نُهي الرسول ﷺ عن طاعة المكذبين وما تفرّخ من كذبهم وخبث سجاياهم ، وقد تضمّن ذلك النهي عن التشبه بهم بالأولى ، « فإن النهي عن قبول قول من يأمر بالخلق الناقص أبلغ في الزجر من النهي عن التخلّق به »[49] ، كما تضمن ذلك تكريم الرسول ﷺ « فإن قوله : لا تكذب ولا تحلف ولا تشتم ولا تهمز ليس هو مثل قوله : لا تطع من يكون متلبسا بهذه الأخلاق ، لما فيه من تشريفه وبراءته »[50] .

وفي هذه الآيات تبرز القضية الأخلاقية لتقرير مقصد السورة بصورة أخرى بإزاء الجمل السابقة في مطلع السورة ، فهناك تبرز الفضيلة الخلقية في أرقى منازلها ليحتذى بها ، وهنا يتجه التحذير من الأخلاق الرذيلة على اختلاف أنواعها ، منها ما جاء على ظاهره أنه خلق حسن وهو في حقيقته نفاق وملق وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ (الآية٩) ، وأما بقية الصفات فهي أخلاق المكذبين بالرسالة ، حيث اكتنفت بالكذب ، فمن اتصف بها أو ببعضها فهو المفتون الذي ضل عن سبيل الله ، وليس المراد من جمع هذه الخلال ،

بل من كانت فيه واحدة منها ، بَلْه من اجتمع له عدة منها أو جميعها[51] ، وما ورد في وصفها لأشخاص معينين لا يمنع دخول غيرهم فيها ، فهي مستمرة باقي الزمان[52] .

وكذلك السمة التي على الخرطوم ليست خاصة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : ‹‹ فأخبر سبحانه أنه لابد أن يسم صاحب هذه الأخلاق الخبيثة على خرطومه ، وهو أنفه الذي هو عضوه البارز ، الذي يسبق البصر إليه عند مشاهدته ، لتكون السيما ظاهرة من أول ما يرى ، وهذا ظاهر في الفجرة الظلمة ، الذين ودَعهم الناس اتقاء شرهم وفحشهم ، فإن لهم سيما من شر يعرفون بها ، وكذلك الفسقة وأهل الريب ›› [53]

ولئن رجع مطلع سورة القلم إلى سورة العلق بذكر القلم فإنهما قد اشتركا أيضا في ذكر أسباب انحراف الفطرة ومعاداة الرسول ﷺ ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ **أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ** ﴾ (الآية/١٤) ، ﴿ **كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى(٦)أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى** ﴾ (العلق/٦،٧) ، لكن المال والغنى يرد في سورة القلم من وجهة أخلاقية ، كما في قصة أصحاب الجنة التالية .

ثالثا ـ البخلاء :

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(١٧)وَلَا يَسْتَثْنُونَ(١٨)فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ(١٩)فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ(٢٠)فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ(٢١)أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَارِمِينَ(٢٢)فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(٢٣)أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ(٢٤)وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ(٢٥)فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ(٢٦)بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ(٢٨)قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(٢٩)فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ(٣٠)قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ(٣١)عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ(٣٢)كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ (الآيات١٧-٣٣)

قوله تعالى : ﴿ **الْجَنَّةِ** ﴾ ‹‹ البستان ›› [54] .

قوله تعالى : ﴿ **لَيَصْرِمُنَّهَا** ﴾ : ‹‹ أي يجتنونها ›› [55] .

قوله تعالى : ﴿ **مُصْبِحِينَ** ﴾ : ‹‹ داخلين في الصباح مبكرين ›› [56] .

قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَسْتَثْنُونَ** ﴾ : قال أكثر المفسرين : ولا يقولون : إن شاء الله[57] ، لأنه عمل غدٍ ، وقيل : ولا يستثنون حق المساكين[58] ، والمعنيان يقبلهما السياق .

قوله تعالى : ﴿ طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ ﴾ هو أمر من الله من جنس ما يصيب الزروع من الهلاك[٥٩] .

قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ : كالليل ، أو الرماد ، أو ذهب ما فيها كأنه قد صرم[٦٠] .

« وإيثار كلمة الصريم هنا لكثرة معانيها وصلاحية جميع تلك المعاني لأنْ تُراد في الآية »[٦١] .

قوله تعالى : ﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ : معنى الحرد : « المنع عن جِدَّة وغضب »[٦٢] .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ(٢٦)بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ : أي أضللنا الطريق ، بل جُوزينا فحرمنا خيراتها[٦٣] .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ : قال ابن عطية (ت٥٤١هـ) : « فقال لهم أعدلهم قولا وعقلا وخُلقا ... و ﴿ تُسَبِّحُونَ ﴾ قيل : هي عبارة عن طاعة الله تعالى وتعظيمه والعمل بطاعته ، وقال مجاهد وأبو صالح : هي كانت لفظة الاستثناء عندهم »[٦٤] .

* * *

هذا المثل أسلوب من أساليب الإصلاح في القرآن الكريم في إطار قصة واقعة ، لتذكير كفار قريش بما أنعم الله به عليهم من بعثة محمد ﷺ ، لئلا يتمادوا في مقابلتها بالتكذيب والمحاربة[٦٥] ، فوجه الشبه بين قصة أصحاب الجنة وبين المكذبين المضروب لهم هذا المثل هو بطر النعمة والإعراض عن طلب مرضاة الله وعن شكر نعمته والاغترار بالقوة[٦٦] .

ويرتبط هذا المثل بما قبله في التنفير من عدة صفات أخلاقية مذمومة ، ويتجلى ذلك من خلال المقارنة بين الآيات التالية :

١. الحلف والإقسام في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴾ (الآية١٠) ، وقوله تعالى : ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا ﴾ (الآية١٧) .
٢. منع الخير عن الغير في قوله تعالى :﴿ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ ﴾ (الآية١٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ ، ﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ (الآيتان١٨،٢٥) .
٣. الاعتداء ، وهو الظلم[٦٧] ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ (الآية١٢) ، وقوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (الآية٢٩) .

ويبدوا الجانب الأخلاقي في هذا المثل بارزا من خلال « بيان حال البخلاء وما يعاقبون به في الدنيا قبل الآخرة من تلف الأموال ، إما إغراقا وإما إحراقا ، وإما نهبا وإما مصادرة ، وإما في شهوات الغي ، وإما في غير ذلك

مما يعاقب به البخلاء الذين يمنعون الحق ... فإنه سبحانه إذا أنعم على عبد بباب من الخير وأمره بالإنفاق فيه فبخل عاقبه بباب من الشر ، يذهب فيه أضعاف ما بخل به ، وعقوبته في الآخرة مدخرة ››[٦٨] .

وإذا كانت الآيات السابقة قد شنت حملة قاصمة على رؤوس المكذبين ببيان قبيح أخلاقهم ، فإن هذا المثل قد ركز على العقوبة الأخلاقية وآثارها ، حيث ذكر العذاب في أول القصة ﴿ **فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ(١٩)فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ** ﴾ (الآيتان١٩-٢٠) كما ذكر التعقيب على العذاب من بعد رؤيته في سبع آيات متتابعات (الآيات٢٧-٣٣) ، والقصد من ذلك ‹‹ تلقين الذين ضرب لهم هذا المثل بأن في مُكْنتهم الإنابة إلى الله بنبذ الكفران لنعمته إذ أشركوا به من لا إنعام لهم عليه ››[٦٩] .

هكذا يرشد الله الناس بهذا الأسلوب الكريم ، والذي اتضح من خلاله ما يصيب الجماعة من تبعات الانحطاط الأخلاقي وسيطرة المال على النفس حتى يمنع الخيرات عنها ذاتها ، ولما كان الناس إزاء تلك الموعظة فريقين بيّن أحوالهم في الآيات الآتية .

رابعا - في جزاء المتقين وعقوبة المكذبين للرسول ﷺ وتوبيخهم ومحاجتهم :

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ(٣٤)أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ(٣٥)مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ(٣٦)أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ(٣٧)إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ(٣٨)أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ(٣٩)سَلْهُم أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ(٤٠)أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ(٤١)يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ(٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ(٤٣)فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ(٤٤)وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ(٤٥)أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ(٤٦)أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ (الآيات٣٤-٤٧)

قوله تعالى : ﴿ **أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ(٣٧)إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا يَتَخَيَّرُونَ** ﴾ : ‹‹ أي أعندكم كتاب من الله عز وجل أن لكم لما تخيرون ››[٧٠] .

قوله تعالى : ﴿ **سَلْهُم أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ** ﴾ : يعني : ‹‹ سل يا محمد هؤلاء المشركين أيهم بأن لهم علينا أيمانا بالغة بحكمهم إلى يوم القيامة ﴿ **زَعِيمٌ** ﴾ يعني كفيل به ››[٧١] .

قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ** ﴾ : قال الرسول ﷺ : « يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعته ليسجد ، فيعود ظهره طبقا واحدا »[٧٢] ، ونؤمن بساق الرحمن عز وجل من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل .

قوله تعالى : ﴿ **وَأُمْلِي لَهُمْ** ﴾ معناه : « أمهلهم »[٧٣] .

قوله تعالى : ﴿ **أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ** ﴾ : « أي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم فيثبطهم ذلك عن الإيمان »[٧٤] .

* * *

تضمن المقطعان السابقان التنديد بالأخلاق الفاسدة تبيانا لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ (الآية٧) ، فالضال هو المتصف بتلك الرذائل ، والمهتدي هو المتقي ، ولا جرم أن التقوى في أعمق مفاهيمها تحوي أحسن الأخلاق .

وقد نوّه الله بجزاء المتقين بعِنديَّته ، « والعندية هنا عندية كرامة واعتناء »[٧٥] .

وبقية الآيات اتجهت إلى المكذبين توبخهم على ما هم فيه من الضلال ، وتجادلهم بما تُلزمهم به حجة العقل والنقل والعلم ، وإذ لم يستجيبوا لتلك الدواعي فقد استحقوا عقوبة العزيز الجبار .

وفي تلكم الآيات ما لا يَخفى من تسلية الرسول ﷺ وتثبيته وأن الله من ورائه بالنصر والتأييد[٧٦] .

ولم يقع الجزاء أجنبيا عن موضوعات السورة وجانبها الأخلاقي ، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : « ثم أتبع ذلك بعقوبة المتكبر ، الذي هو من نوع العتل الزنيم ، الذي يدعى إلى السجود والطاعة فيأبى ، ففيها عقوبة تارك الصلاة وتارك الزكاة ، فتارك الصلاة هو المعتدي الأثيم العتل الزنيم ، وتارك الزكاة الظالم البخيل »[٧٧] .

خامسا ـ خاتمة السورة :

قال الله تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ(٤٨)لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ(٤٩)فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ(٥٠)وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ(٥١)وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** ﴾ (الآيات٤٨-٥٢)

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ : نهي عن الغضب والعجلة التي وقع فيها يونس عليه السلام[78] .

قوله تعالى : ﴿ مَكْظُومٌ ﴾ : قال ابن عطية (ت ٥٤١هـ) : « حقيقة الكظم هو الغيظ والحزن والندم ، فحُمل المكظوم عليه تجوّزا وهو في الحقيقة كاظم »[79] .

قوله تعالى : ﴿ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ : يعني أن حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ، ولولا نعمة الله عليه بالتوبة لكانت حاله على الذم[80] .

قوله تعالى : ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ ﴾ : قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) : « الزاء واللام والقاف أصل واحد يدل على تزلّج الشيء عن مقامه ... فأما قوله جل ثناؤه ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ فحقيقة معناه أنه من حدة نظرهم حسدا يكادون يُنحُّونك عن مكانك »[81] .

قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ : الضمير في ﴿ إِنَّهُ ﴾ عائد إلى النبي ﷺ[82] .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ الضمير في ﴿ هُوَ ﴾ عائد إلى القرآن[83] .

* * *

يأتي التأكيد على الصبر في هذه السورة وكذلك في أوائل ما نزل من السور ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ (المزمل/٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ (المدثر/٧) ، وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾ (العلق/١٩) ، وذلك لتثبيت النبي ﷺ وتعزيز صموده ضد أعداء الدعوة .

ويتجلى في الخاتمة مقصد السورة ليتجاوب مع ما تضمنه مطلعها[84] ، والصبر هو جماع الخلق[85] ، وأحد دلالات العظمة ، وهو يقتضي تحمل الأذى وقالات السوء وعدم الضجر أو التعجل ، إنه « ضابط الأخلاق المأمور بها ، ولهذا خَتم السورة به »[86] .

ويستبين مقصد السورة فيما أخبر الله به عن عالمية دعوة الرسول ﷺ في ختم السورة ، فهذه الرسالة ليست حجرا على قريش ، وامتدادها ليس متوقفا على قناعتهم بها أو ردها ، كلا ، ولكنها كلمة الله إلى العالمين ، وذلك يتناسب مع ما أخبر الله به في أول السورة عن صاحب تلكم الرسالة من الخلق العظيم ، فإن ما تحلى به و دعا إليه من كريم الأخلاق لمن أبلغ الحجج والوسائل لتبليغ الإسلام إلى الإنسانية جمعاء .

الأسس الأخلاقية في سورة القلم :

تعتمد الدراسات الإسلامية في مجال الأخلاق على ثلاثة أسس ، وهي :

أولا ـ المعرفة :

وتُعنى بالجوانب النظرية ، وقد تولى الدكتور محمد عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ) دراستها في كتابه القيم « دستور الأخلاق في القرآن » ، وهو أحسن ما أُلِّف في هذا المجال .

ثانيا ـ التربية :

« وهي العملية التي تؤدي إلى بناء فكر وفعل أخلاقي متميز »[٨٧] ، وقد أبرز هذا العنصر وكشف عن قيمته ودوره في تكامل منظومة أخلاق الإسلام الدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن في الدراسة الخاصة به في كتاب « الأخلاق بين النظرية والتطبيق » .

ثالثا ـ السلوك : وتتناول الأخلاق العملية من الفضائل والرذائل ، وقد حظيت بإنتاج ثرّ من العلماء والمؤلفين قديما وحديثا .

الأساس الأول ـ المعرفة :

إن المتدبر لآي سورة القلم يجد أنها حوت جملة من الأخلاق ، ثم إنها ليست فضائل مفردة أو رذائل مرسلة ، لكنها كعادة القرآن يسبقها ما يشبه التوطئة ، ويعقبها ما يصدق عليه تذييل أو تفريع ، بجانب ما يكون في تضاعيفها من التقرير والتوجيه ، وفي ذلك كله ما يمكن أن تُستخلص منه بعض المقاييس الأخلاقية ، ومما تضمنته هذه السورة ما يتصل بالأسس المعتبرة التي عليها قوام النظام الأخلاقي ، إذ ورد في السورة ما يدل على مبدأ الإلزام والمسؤولية والجزاء ، وهي عناصر مترابطة ، « ذلك أنه إذا لم يَعْد هناك إلزام فلن تكون هناك مسؤولية ، وإذا عدمت المسؤولية فلا يمكن أن تكون العدالة ، وحينئذ تتفشى الفوضى ويفسد النظام »[٨٨] .

الإلزام :

يقوم الإلزام بالعمل الخلقي على عدة مصادر ، وقد أشارت سورة القلم إلى مصدرين أساسين من مصادر الإلزام الخلقي ، أحدهما : الله جل جلاله ، والآخر العقل ، ففي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ (الآية/٧) وقوله تعالى : ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ** ﴾ (الآية/٣٥) وقوله تعالى : ﴿ **فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ** ﴾ أرجعت الآيات المصدر الخلقي إلى الله جل وعزّ ، فهو الخالق والمشرّع ، وفي هذه الآيات دلالة على إحاطة علم الله بالناس ، وأنهم تحت رعايته ورقابته . ولذلك أثره الفاعل في إنشاء خُلق المراقبة وضبط سلوك الإنسان وتصرفاته وتوجيهها نحو مرضات الله .

وفي قوله تعالى : ﴿ **مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ** ﴾ (الآية/٢) وقوله تعالى : ﴿ **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ (الآية/٣٣) وقوله تعالى : ﴿ **مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ (الآية٣٦) وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ لَكُمْ لَمَا**

تَحْكُمُونَ ﴾ (الآية ٣٩) وقوله تعالى : ﴿ **وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ** ﴾ (الآية٥١) أرجعت هذه الآيات المصدر الخلقي إلى العقل ، « فإن العقل حين يدرك أن الأخلاق الحسنة وسيلة الخير في الدنيا والآخرة فإنه يلتزم بها في حين كون التجرد منها وعاقبته الشر سيكون دافعا له إلى تجنب ذلك »[٨٩] .

وتعتبر عظمة خلق الرسول ﷺ من الأدلة العقلية على كمال عقله ورزانة رأيه ، فكيف يُرمى بفرية الجنون ، والجنون غطاء على العقل يطفئ نوره ؟ ، ولكنهم يقولون ذلك لنهاية « جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة بأحكام الطبائع ولِتنفير الناس عنه »[٩٠] .

ولا شك « أن استعمال القرآن للأدلة العقلية لإثبات قبح ما عليه الكافرون من شرك وغيره يدلّ على عقلية الإلزام الخلقي »[٩١] ، وذلك ما نراه جليا في قوله تعالى : ﴿ **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ (الآية٣٣) فوسمهم الله بالجهل ، وذلك يدل على قلّة عقولهم[٩٢] ، وكذلك الإنكار على حكمهم يدل على إعمال مصدر الإلزام العقلي ، لأن ما صَدر منهم لا يصدر عن عاقل[٩٣] ، « إذ مُحَصِّلُهُ : ما أفسد عقلكم حتى حكمتم بهذا ؟ »[٩٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : « ... والقرآن يبين الأدلة العقلية الدالة على ذلك ، وينكر على من لا يستدل بها ، ويبين أنه بالعقل يُعرف المعاد ، وحسن عبادته وحده ، وحسن شكره ، وقبح الشرك ، وكفر نِعمه ، كما قد بسطت الكلام على ذلك في مواضع »[٩٥] .

غير أنه ينبغي أن يُعلم أن العقل ليس وحده المتفرد بسلطان الإلزام ، ولكنه يستمد نوره من خالقه ، « وفي القرآن يسير العقل والنقل معا جنبا إلى جنب ، وهو ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾[٩٦] (الملك/١٠) ، وذلك ما دلّ عليه الانتقال في الاحتجاج على كذب المجرمين في قوله تعالى : ﴿ **أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ(٣٧)إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا يَتَخَيَّرُونَ** ﴾ (القلم/٣٧-٣٨) ، أي : « ألكم أيها القوم ... كتاب نزل من عند الله أتاكم به رسول من رسله بأن لكم ما تخيرون ، فأنتم تدرسون فيه ما تقولون ؟ »[٩٧] ، فبعد أن دحض زيفهم بالدليل العقلي أردفه بما يدل على بطلان ما هم عليه بالدليل النقلي ، فبهتهم ، إذ ليس ثمة كتاب مقدّس يساندهم .

المسؤولية :

وهي : « تعني أن يتحمل الإنسان نتيجة أفعاله التي التزم بها أو قررها أو اختارها ، سواء أكانت هذه الأفعال إيجابية أو سلبية »[٩٨] ، ويعتبر الاختيار شرطا ضروريا لتحمل المسؤولية[٩٩] ، « والإسلام يقدّر هذه الحقيقة ويحترمها وهو يبني صرح الأخلاق »[١٠٠] ، حيث يقول الله تعالى : ﴿ **أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ(٣٧)إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا يَتَخَيَّرُونَ** ﴾ (القلم/٣٧-٣٨) ، « أي تبالغون في انتقائه وأخذ خياره »[١٠١] ، والتعبير بـ ﴿ **تَدْرُسُونَ** ﴾ يشير إلى إن هذا الاختيار نابع من تبصّر ووعي ، « أي تقرؤن قراءة أتقنتم مخالطتها أو أنعمتم فهمه بسببها »[١٠٢] ، وهذا الإنكار عليهم - وإن كان مبنيا على الفرض - إلا أنه يدل على الاعتداء بالاختيار لتثبيت

الحجة عليهم في مساءلتهم عن الأفعال التي تصدر منهم بإرادتهم ، وعلى أساس من هذا الاختيار يكون الحساب ، وذلك عين العدالة ومنتهاها .

الجزاء :

ويقوم على ركيزتين : الثواب والعقاب ، وكلاهما ظاهر في سورة القلم ، وذلك أنها ذكرت نماذج من الأخلاق الخيّرة وأضدادها ، وإنه لمن تمام حكمة الله وعدله أن لا يساوي بين الأشياء المختلفة في الجزاء ، وفي هذه السورة يقول الله تعالى : ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ** ﴾ (الآية٣٥) ، " أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ "[١٠٣] ، "كلا ما الله بفاعل ذلك "[١٠٤] .

ولهذا تجد الجزاء في السورة متعددا ومتنوعا حسب كل حالة ، سواء في الدنيا أم في الآخرة ، وإيضاح ذلك فيما يلي :

الثواب :

إن جزاء الله للمؤمنين ليس مقصورا على الآخرة ، بل يشمل الدارين ، وقد اجتمع ذلك للرسول ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ** ﴾ (الآية٣) ، " وهذا الأجر هو ثواب الله في الآخرة وعناية الله به ونصره في الدنيا "[١٠٥] ، ووصْفُهُ بأنه غير مقطوع يسير في انسجام مع ما يتسم به خلق الرسول ﷺ من عطاء متجدد للأمة من بعده ، ذلك الفضل من الله .

كما تفضل الله على نبيه يونس عليه السلام فجعل من توبته ثوابا هو الاجتباء والصلاح : ﴿ **فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ (الآية٥٠) .

وفي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ (الآية ٣٤) إخبار من الله تعالى بما ادخره لعباده المتقين من الثواب والكرامة ، " وتقديم المسند على المسند إليه للاهتمام بشأن المتقين ليسبق ذكرُ صفتهم العظيمة ذِكر جزائها ... والعندية هنا كرامة واعتناء "[١٠٦] ، والإضافة في ﴿ **جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ تدل على أنها ليس فيها إلا النعيم الخالص عن شائبة ما ينغصه أو يناكده من الكدورات[١٠٧] .

وهذا الثواب بشقيه الدنيوي والأخروي له دوره الكبير في توجيه العمل لابتغاء مرضاة الله وحده ، وفيه ما يزع عن الأخلاق الفاسدة ، ويدعو إلى التحلي بخلق الجد والمثابرة للفوز بجنات النعيم ، فهو ركيزة تربوية ، وستأتي الإشارة إليها في الأساس التالي .

العقاب :

تضمنت سورة القلم ألوانا متعددة من العقوبات ، فمنها ما يقع على الجسد ، أو بداخل النفس ، ومنها عقوبات اجتماعية ، ومنها عقوبات أخروية ، ويمكن إيضاحها فيما يلي :

أ ـ الوسم على الخرطوم (الأنف) :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ **سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ** ﴾ (الأية١٦) ، والإطلاق يتضمن الوسم في الدنيا وفي الآخرة[١٠٨] ، أما في الدنيا فمنه ما قاله : « قتادة وغيره : معناه : سيُفعل به في الدنيا من الذم والمقت والإشهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى به ، فيكون ذلك كالوسم على الأنف ثابتا بيّنا »[١٠٩] .

وهذا ضرب من العقوبة الاجتماعية الأدبية ، وهي عدم الاحترام لشخصية الفاسق الذي اتصف بهذه الأخلاق الخبيثة ، وعدم الثقة به ، مما يفقده القبول من الناس ، وذلك أمر بالغ الصعوبة على النفس الإنسانية[١١٠] ، وأما في الآخرة فإنه يوسم على أنفه بسمة يعرف بها كفره وانحطاط قدره[١١١] ، وبهذا يتبين سبب اختيار هذه العقوبة ، وأنها لكسر كبريائه الذي كان يتعالى به ، وقد كان الأنف مظهره ، فجعلت شوهته في مظهر آثار كبريائه[١١٢] .

« وفي استعارة الخرطوم مكان الأنف استهانة واستخفاف ، لأن حقيقة الخرطوم هو للسباع »[١١٣] .

ب ـ عقوبة البخلاء :

لا ريب أن البخل خلق مذموم ، وهو من المهلكات ، غير أنه درجات ، وحد البخل الذي يوجب الهلاك هو الإمساك حيث يجب البذل[١١٤] ، ومنه بخل أصحاب الجنة المذكور في الآيات (١٧-٣٣) من سورة القلم ، حيث كان عقابهم بسبب إخلالهم بواجباتهم الاجتماعية وعدم إحساسهم ببؤس إخوانهم[١١٥] ، فعاقبهم الله بنقيض قصدهم[١١٦] بإتلاف بستانهم الذي ظنوا به على إخوانهم ، ويبرز هذا النوع من العقوبة حتى في عبارات القصة ﴿ **إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ** ﴾ (الآية١٧) ، ﴿ **فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ** ﴾ (الآية٢٠) ، إذ ورد التعبير في العقوبة بالصرم ، أي « أصبحت وقد ذهب ما فيها من الثمر ، فكأنه قد صرم ، أي قُطع وجُدّ »[١١٧] ، جزاء على إقسامهم على أن يجتنوا ثمرها ، ويحرموا المساكين من خيراتها ، وفي هذا « دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان »[١١٨] .

إن العقوبات الإلهية ذات أبعاد سامية ، فهي لا تنتهى عند إيقاع الألم على مستحقه ، ولكنها في الحقيقة أدوية مفيدة لعلاج القلوب لئلا يتمادوا في شهواتهم فيكونوا هم الضحايا[١١٩] ، وذلك ما أشار الله في أعقاب إتلاف زروع أصحاب الجنة وما بدر منهم إثر التلف من كثرة الندم والتلوّم ، والإحساس بالظلم والطغيان ، إن هذا التحول الأخلاقي الحميد الذي أفرزته عقوبة أصحاب الجنة هو أحد المقاصد الأخلاقية التي جاء القرآن الكريم ليؤكد عليها ضمن أجزيته الإصلاحية ، رُوي عن ابن مسعود (ت٣٢هـ) رضي الله عنه : « أن القوم اخلصوا وعرف الله منهم صدقهم فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان »[١٢٠] ، وعليه فإن قوله تعالى في ختم القصة : ﴿ **كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ** ﴾ « ابتداء مخاطبة النبي ﷺ في أمر قريش »[١٢١] .

جـ ـ العقوبة الأخروية :

وهي أكبر من عقوبة العاجلة ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ** ﴾ (القلم/٣٣) ، وقد تضمنت السورة عقوبة تارك الصلاة ، قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا**

يَسْتَطِيعُونَ(٤٢)خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ (الآيتان٤٢–٤٣) ، وقد سبق التعليق على هاتين الآيتين وبيان صبغتهما الأخلاقية في معاني السورة وملامحها الخُلقية[١٢٢] .

وأما أنواع العقوبات التي اشتملت عليها الآيتان فهي عقوبات بدنية ومعنوية ، حيث يؤمر الكافر بالسجود فلا يقدر عليه ، ولا يخفى أن هذا الأمر على جهة التوبيخ[١٢٣] ، لأن الآخرة ثمرة نهاية للجهد ، وليس ثمة تكليف ولا توبة .

وهنا تتجلّى القاعدة الجزائية العادلة ، وهي المعاقبة بنقيض ما كانوا عليه ، فخشوع أبصارهم وذلتهم مقابل إجرامهم وتكبرهم ، « ولما دُعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم ، كذلك عوقبوا في الآخرة إذا تجلى الرب عز وجل فسجد له المؤمنون ، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد ، بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحدا ، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرّ لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا »[١٢٤] .

د ـ الاستدراج والإمهال :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ **سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ(٤٤)وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ** ﴾ (الآيتان٤٤–٤٥) ، قال الإمام الطبري (ت٣١٠هـ) « يقول جل ثناؤه : سنكيدهم من حيث لا يعلمون ، وذلك بأن يمتعهم بمتاع الدنيا حتى يظنوا أنهم متعوا به بخير لهم عند الله ، فيتمادوا في طغيانهم ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون »[١٢٥] ، وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾ »[١٢٦] (هود/١٠٢) .

وهذا النوع من العقوبة لا يملكه إلا الله جل وعلا ، لأنه ذو الكيد المتين ، وهو أحد آثار حلمه وقوته ، إذ لم يعاجل عباده بعقوبته ، ثم إنهم لن يفلتوا من قبضته لا في الدنيا ولا في الآخرة .

عقوبة يونس عليه السلام :

قال الإمام الطبري (ت٣١٠هـ) : « وقوله ﴿ **وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ** ﴾ الذي حبسه في بطنه ، وهو يونس بن مَتَّى ﷺ فيعاقبك ربك على ترك تبليغ ذلك كما عاقبه فحبسه في بطنه »[١٢٧] ، وذلك أنه عليه السلام تضجّر من تباطؤ استجابة قومه ، فخرج منهم قبل أن يأذن له ربه ، فكانت عقوبته تلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : ((وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ومن اتَّبعهم على ما أخبر الله به في كتابه ، وما ثبت عن رسوله ، من توبة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب التي تابوا منها ، وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم ، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . وعصمتهم هي من أن يُقَرُّوا على الذنوب والخطأ ، فإن مَنْ سِوى الأنبياء يجوز عليهم الذنب والخطأ من غير توبة ، والأنبياء عليهم السلام يستدركهم الله فيتوب عليهم ويبين لهم))[١٢٨] .

ولا يجوز التنقّص من قدر يونس عليه السلام ، ولهذا لما خشي الرسول ﷺ على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له بالَغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة[١٢٩] ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((ما ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متَّى))[١٣٠] ، وذلك أنه فعل ما فعل ظانا أنه الأحسن[١٣١] ، فلما التقمه الحوت نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فأحدث ذلك عنده توبة وإنابة وعملا صالحا كفّرت خطيئته ، واستجلبت رضى الله ، فكانت حالته أحسن من ذي قبل ، ﴿ **فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنْ الصَّالِحِينَ** ﴾ (القلم/ ٥٠) ، وتلك سمة أخرى من سمات الجزاء الإلهي ، تورث العقوبة منه نتيجة إجابية فائقة ، وذلك ما طمع فيه أصحاب الجنة ، إذ قالوا – فيما ذكره الله عنهم – : ﴿ **عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ** ﴾ (القلم/٣٢) .

الأساس الثاني ـ التربية :

إن التربية الأخلاقية هي أحد الدعائم الأساسية في علم الأخلاق ، وتستهدف النفس الإنسانية وملكاتها الاستعدادية لتهذيبها والارتقاء بها إلى مستوى الفضيلة والخيرية ، وهي من الأهمية بمكان ، لأنها الترجمة العلمية للأخلاق النظرية ، والوسيلة إلى إخراج الأخلاق من حيز المعرفة إلى أرض الواقع[١٣٢] .

والحق أن القرآن العظيم قد زود نظامه الأخلاقي بقاعدة تربوية غاية في الكمال[١٣٣] ، وقد انتظم في هذه القاعدة جملة من الوسائل الكفيلة بتفعيل التعاليم الأخلاقية ، وإيجاد العلاج والحلول المناسبة لكل انحراف أو تسيّب في الأخلاق ، ومعنى هذا أنها ذات طابع إصلاحي ودعوي ، فالحاجة إلى إبرازها وإعمالها ضرورة اجتماعية .

ولما كانت سمة سورة القلم هي الخلق فإنها قد تضمنت مجموعة من تلك الوسائل ، وهي تندرج في القسمين التاليين :

أولا ـ الوسائل الدافعة :

وهي الوسائل التي تنمي الاستعداد لفعل الخيرات والمداومة عليها والترقي في معارج الفضيلة[١٣٤] ، وقد اشتملت سورة القلم على أربعة منها ، وهي :

١. **الموعظة :**

حيث وردت في أول السورة وآخرها ، أما الذي في أولها فهو قوله تعالى : ﴿ **فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ (الآية٨) وقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ(١٠)هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ(١١)مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ(١٢)عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ** ﴾ (الآيات١٠-١٣) ، وهذا من الله إلهاب وتهييج التصميم في مخالفة الكفار ، وهم المكذبون بما جاء به الرسول ﷺ ، ثم خص بالنهي عن طاعة من كان من الكفار موصوفا بأخلاق رذيلة وراء الكفر ، من كثرة الحلف[١٣٥] ... إلخ .

وأما الذي في آخر السورة فهو قوله تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ(٤٨)لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ** ﴾ (الآيتان٤٨-٤٩) ، وفي ذلك موعظة التحذير من الوقوع فيما وقع فيه يونس عليه السلام من العجلة المنافية للصبر ، وذلك متصل بأول السورة فإن مقتضى النهي عن طاعة المكذبين التحلي بخلق الصبر ، والتصميم على الدعوة والمداومة عليها ولو كره المشركون .

وفي هذه الموعظة دروس مفيدة للدعاة ، ومنها التخلق بالمصابرة مهما كان من الصدود أو التباطؤ عن الاستجابة ، ومنها أن الداعية محتاج إلى المخالطة ، والأخلاق مكتسبة بالمعاشرة ، فليأخذ حذره من اكتساب شيء من أخلاقهم الفاسدة ، وذلك ما حُذّر منه الرسول ﷺ في قوله جل شأنه :﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ** ﴾ الآيات[١٣٦] .

٢. **الصحبة :**

لا يخفى ما للصحبة من أثر فاعل في اكتساب الأخلاق سلبا أو إيجابا ، ومسارقة الطبع تؤدي في ذلك دورا كبيرا ، « إذا الطبع يسرق من الطبع الشرَّ والخيرَ جميعاً »[١٣٧] .

وقصة أصحاب الجنة في السورة شاهد حي على ما للصحبة من أهمية في استمداد القرناء من بعضهم البعض الطاقات الأخلاقية ، ﴿ **قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ** ﴾ (القلم/٢٨) ، أوسطهم : « أعدلهم قولا وعقلا وخُلقا »[١٣٨] ، والآية تدل على أن هذه الأوسط حذرهم من الوقوع في المعصية قبل وقوع العذاب فلم يطيعوه ، فلما رأو العذاب ذكّرهم ذلك الكلام[١٣٩] ، ﴿ **قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ (الآية٢٩) ، فكان تذكير أوسطهم أحد أسباب توبتهم ، ولو استجابوا له أولا لانتفعوا ببستانهم ، بيد أنهم استطاعوا أن يؤثروا عليه ، حتى أزرى به بخله فأصابه ما أصابهم ، ولذلك أقبل بعضهم على بعض بالتلوّم والمعاتبة ، ولا يبعد أن يكون منه لوم على من أسكته أو أغراه على المتابعة ، لأن عبارة « التلاوم » تعطي ذلك ، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) عند قوله تعالى : ﴿ **فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ** ﴾ (

الآية٣٠) : « يلوم بعضهم بعضا ، لأن منهم من زين ، ومنهم من قَبل ، ومنهم من أمر بالكف وعزّر ، ومنهم من عصى الآمر ، ومنهم من سكت وهو راض »[١٤٠] .

٣. الترغيب :

وهو أحد قوى الإغراء التي تبعث على الأخلاق الحميدة ، وتشيع الأفعال الجميلة ، وقد ذكره الله في أربعة مواضع من سورة القلم ، وسبقت الإشارة إلى ثلاثة منها عند بحث جانب الثواب من الجزاء في الأساس الأول من هذا البحث ، وهي قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ** ﴾ (الآية٣) ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ (الآية٣٤) ، وقوله تعالى : ﴿ **فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ (الآية٥٠) .

أما الموضع الرابع فهو قوله تعالى : ﴿ **أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ** ﴾ (الآية٤٦) : « يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : أتسأل يا محمد هؤلاء المشركين بالله على ما أتيتهم به من النصيحة ودعوتهم إلى الحق ثوابا وجزاء ﴿ **فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ** ﴾ يعني من غرم ذلك الأجر مثقلون ، قد أثقلهم القيام بأدائه فتحاموا لذلك قبول نصيحتك »[١٤١] ، وفي هذا ترغيب لهم بالدخول في الإيمان ، وقد تضمن إقناع العقول المغرمة بالحقيقة ، فهو يعلن أن دعوة الرسول ﷺ ليست بقضية تكسّب ، ولا هي بنظام يبتغي مؤسِّسُهُ أن يُنال عليه أجرا[١٤٢] ، وتلك وظيفة الرسل ، وهي سبيل من تبعهم ، يعلّمون الناس ويهدونهم ، ويدلون الناس إلى صلاح قلوبهم بلا عوض[١٤٣] .

٤. القدوة الحسنة :

وهي وسيلة عملية في البناء الخلقي ، « ولن تصلح التربية إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة »[١٤٤] ، والقرآن الكريم حافل بنماذج حية للشخصيات الأخلاقية الكريمة ، للترغيب في أخلاقهم ، ومحاكاة الحسن منها ، قال تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ** ﴾ (الأنعام/٩٠) ، ومن أولئك يونس عليه السلام صاحب الحوت ، فإنه يذكر في القرآن الكريم ضمن موكب الأنبياء على هذا الوجه ، وعلى هذا النحو جاء في سورة القلم ، حيث أُثني عليه في توبته ، وليم في تضجره ، ليُقتدى به فيما أثني عليه بسببه وهو التوبة الصادقة ، ويتجنب تعجّله ، فقال تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ(٤٨)لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ(٤٩)فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ (القلم/٤٨-٥٠) .

قال ابن حزم (ت٤٥٦هـ) : « ولهذا يجب أن تؤرّخ الفضائل والرذائل ، لينفر سامعها من القبيح المأثور عن غيره ، ويرغب في الحسن المنقول عمن تقدمه ويتّعظ بما سلف »[١٤٥] .

لقد كانت تلك تجربة أحد الأنبياء الأخيار ، سيقت لينتفع منها النبي محمد ﷺ ((لتكون له زادا ورصيدا ، وهو خاتم النبيين ، الذي سبقته تجارب النبيين أجمعين في حقل الرسالة))[146] ، ((فلما أُمر محمد عليه الصلاة والسلام بأن يقتدي بالكل ، فكأنه أمر بمجموع ما كان متفرقا فيهم ، ولما كان ذلك درجة عالية لم تتيسر لأحد من الأنبياء قبله لا جرم وصف الله خلقه بأنه عظيم))[147] ، وبهذا يتضح مفاد التعبير بحرف الاستعلاء في قوله تعالى ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم/٤) إذ دلّ على استعلاء الرسولﷺ على جميع الأخلاق الجميلة وتمكنه منها[148] ، ولا سيما أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق[149] .

وإذا كانت طريقة القرآن فيما يذكره الله عن أهل العلم والأنبياء والمرسلين على وجه المدح للتأسي[150] بهم فلا جرم أن ما امتدح الله به رسوله ﷺ في هذه السورة من عظيم خلقه يقتضى اتخاذه مثلا أعلى ، ثم إنه قد جاء ذلك صريحا في قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ (الأحزاب/٢١) ، قال ابن حزم (ت٤٥٦هـ) : ((من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ وليستعمل أخلاق سيرته ما أمكنه))[151] .

ثانيا ـ الوسائل المانعة :

((وهي الوسائل التي تحول دون فاعلية الرغبة في الأخلاق السيئة وتُعطِّل الإرادة والاستعداد لفعلها))[152] ، فهي طرق وقاية وعلاج لم يطرأ على الأخلاق من عوامل الانحراف والانحلال الخلقي الذي يعتور النفس بسبب الهوى أو الشيطان أو غيرهما .

وتتمثل تلك الوسائل في سورة القلم فيما تضمنته من العقوبات وما يتصل بها من وجوه الاعتبار وآيات الترهيب ، وقد سبق الحديث عنها في الأساس المعرفي عند بحث العقاب بما أغنى عن التكرار .

وعند تدبر ما ورد في السورة من العقوبات نجد أنها مرتبطة بتاريخ أشخاص وأقوام مضوا ، ليس معنى هذا خصوصيتها بهم ، بل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وعادة القرآن أن يسوق قصص المتقدمين عبرة لنا ، ((ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها ، والاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره))[153] ، ومن ثم جاء التأكيد على ذلك عند قصة البخلاء في قوله تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ الْعَذَابُ** ﴾ (القلم/٣٣) ، ((أي كفِعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا في الدنيا))[154] .

ولا ريب أن تلك الوسائل من الأساليب الناجعة في مجال التربية الأخلاقية ، لما لها من سلطة على كبح الجرم الخلقي ، وتهذيب السلوك ، فإن كان ثمة مُكْنة من التوبة من قِبَل الفاعل فذلك مقصد أسمى من مقاصد العقوبة في الإسلام مهما كانت ضخامة الذنب ، وإن لم يكن فإن العبرة قائمة لمن بعدها .

الأساس الثالث – السلوك (الأخلاق العملية) :

وهو الأخلاق العملية الصادرة عن إرادة واختيار ، فالسلوك الخير يشمل كل ما يقوم به الإنسان بإرادة خيّرة ولغاية خيّرة ، وضده السلوك السيء ، ويدخل في إطارها جميع العلاقات الشخصية والاجتماعية وغيرهما[١٥٥] .

وسورة القلم من أسعد سور المفصل بالأخلاق العملية ، لأنها جاءت مقرَّرة ومفصّلة لقول الله جل شأنه : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم/٤) . وقد جاءت الأخلاق العملية فيها على قسمين :

أولا – الأخلاق المحمودة .

ثانيا – الأخلاق المرذولة .

وسأكتفي بالعرض والتعليق الموجز على ما أذكره من الأخلاق الواردة فيها ، وربما اكتفيت بالعرض المجرد في بعضها ، إذ سبق في المباحث السابقة ما يغني عن التطويل ، وحيث إن محور السورة تقرير نبوة سيدنا محمد ﷺ والدفاع عن شخصيته فإني سأشير إلى شيء من أخلاقه عند بعض الأخلاق المحمودة تنويها بكمال أخلاقه وجميل أفعاله وأقواله .

أولا – الأخلاق المحمودة :

أ- الأخلاق الشخصية :

١. القدوة الحسنة :

قال الله تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ . (الآية٤) .

قال الله تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ(٤٨)لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ(٤٩)فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ . (الآيات٤٨-٥٠) .

وقد اقتدى الرسول ﷺ بجميع الأنبياء ، فكأنه أُمر بمجموع ما كان متفرقا فيهم ، وتلك درجة عالية لم تتوفر لأحد من الأنبياء قبله ، وذلك أحد أسباب وصفه خلقه بالعظمة[١٥٦] .

٢. اتباع الحق ، ومراقبة الله :

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ (الآية٧) .

٣. الثبات على الحق :

قال الله تعالى : ﴿ **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** ﴾ (الآية٩) ، ولعل أبلغ صورة توضح ما بلغه الرسول ﷺ من إصرار على الحق مقالته لعمه أبي طالب – حينما ظنّ أنه قد بدا لعمه فيه رأي ، وأنه خاذِلُه ومُسْلِمُه – : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته »[157] .

٤. **الصبر :**

قال الله تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ** ﴾[158] (الآية٤٨) .

قال ابن القيم (ت٧٥١هـ) « فإذا جئت إلى النبي ﷺ وتأملت سيرته مع قومه وصبره في الله واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله ، وتلوّن الأحوال عليه من سِلم وخوف ، وغنى وفقر ، وأمن ، وإقامة في وطنه وظعن عنه وتركه لله ، وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه ، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول والفعل والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان ، وهو مع هذا كله صابر على أمر الله ، يدعو إلى الله ، فلم يُؤذَ نبي ما أوذي ، ولم يحتمل في الله ما احتمله ، ولم يعط نبي ما أعطيه ، فرفع الله له ذكره ، وقرن اسمه باسمه ، وجعله سيد الناس كلهم ، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة ، وأعظمهم عنده جاها ، وأسمعهم عنده شفاعة ، وكانت تلك المحن والابتلاء عين كرامته ، وهي مما زاده الله به شرفا وفضلا ، وساقه بها إلى أعلى المقامات »[159] .

٥. **التحفظ في إصدار الأحكام :**

قال الله تعالى : ﴿ **مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ (الآية ٣٦) .

٦. **كبت الغضب وعدم التعجل والتضجر (الحلم) :**

قال الله تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ(٤٨)لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ** ﴾ (الآيتان٤٨-٤٩) .

ولا يعني ذلك التنقّص من قدر يونس عليه السلام كما سبق بيانه في غير موضع من هذا البحث .

٧. **السخاء والجود :**

وهو ما أشار الله إليه في قصة أصحاب الجنة[160] ، وقد بلغ الرسول ﷺ في ذلك غاية الكمال ، فإنه كما أرسله الله رحمة للعالمين كذلك أرسله بالإحسان إلى الناس والرحمة بلا عوض[161] ، كما قال الله تعالى في هذه السورة : ﴿ **أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ** ﴾ (الآية٤٦) ، « وكان ﷺ لا يُوازَى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يُبارى ، بهذا وصفه كل من عرفه »[162] ، وفي الحديث الشريف : « ما سئل النبي ﷺ عن شيء فقال لا »[163] ، وفي حديث آخر : « ... فجاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع إلى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة »[164] .

ب- الأخلاق الاجتماعية :

١. **الإحسان ومواساة المساكين :**

وذلك مما تضمنته قصة أصحاب الجنة ، وهو أحد أثار خلق السخاء والجود المذكور آنفا .

٢. **بذل الخير :**

وذلك ما يستنبط من قوله تعالى : ﴿ **مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ** ﴾ (الآية١٢) .

ج- واجبات نحو الله (الأخلاق الدينية) :

١. الصدقة :

وهي مما تضمنتها قصة أصحاب الجنة كذلك .

٢. التوبة والرغبة إلى الله :

قال الله تعالى : ﴿ **عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ** ﴾ (الآية٣٢) .

وقوله تعالى : ﴿ **فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ (الآية٥٠) .

وفي الحديث الشريف : « يأيها الناس : توبوا إلى الله ، فإني أتوب في اليوم مائة مرة »[١٦٥] .

٣. **التقوى وعمل الصالحات :**

قال الله تعالى : ﴿ **لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ(٣٤)أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ** ﴾ (الآيتان٣٤-٣٥) ، والتقوى هي أساس حسن الخلق فالأفعال الجميلة والأقوال الحسنة وسائر الأعمال الصالحات هي مظاهر التقوى وآثارها ، وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا »[١٦٦] ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : « فجعل كمال الإيمان في كمال حسن الخلق ، ومعلوم أن الإيمان كله تقوى الله »[١٦٧] ، وقال الرسول ﷺ : « ... أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم »[١٦٨] .

٤. **الخوف من الله :**

قال الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ** ﴾ (الآية٤٢) .

٥. **نشر الدعوة إلى الله :**

قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** ﴾ (الآية٥٢) .

ثانيا – الأخلاق المرذولة :

إن طريقة القرآن فيما يذكره الله تعالى من أخلاق الكفار والفساق والعصاة سواء أكانت أقوالا أم أفعالا إنما يذكر ذلك على وجه الذم والبغض لها ولأهلها وبيان فسادها وخطورتها من أجل التحذير منها[١٦٩] .

وقد تركز الحديث عن هذا النوع من الأخلاق في المقطع الثاني والثالث اللذين يتحدثان عن أخلاق المكذبين وأصحاب الجنة[١٧٠] .

أولا – أخلاق المكذبين :

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعْ الْمُكَذِّبِينَ(٨)وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ(٩)وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ(١٠)هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ(١١)مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ(١٢)عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ(١٣)أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ(١٤)إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(١٥)سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ (الآيات٨-١٦) .

أ- الأخلاق الشخصية :

١. **التكذيب بالحق** : وبه افْتُتِحت هذه الصفات ، ولم يكن تكذيبهم بما جاء به الرسولﷺ إلا عدوانا وظلما ، كما قال جل شأنه : ﴿ **فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾[١٧١]

٢. **المداهنة** : وهي ضرب من النفاق والملق[١٧٢] ، وإنما طمع المشركون في ذلك لأنهم حسبوا أن ما يتمتع به الرسول ﷺ من أخلاق عالية يعرفونها ربما عدلت به إلى هذا الخلق الذميم ، وحاشاه عن ذلك ، بل مقتضى عظمة خلقه هي العزة .

قال أبو بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ) ((وحقيقة الادّهان إظهار المقاربة مع الاعتقاد للعداوة ، فإن كانت المقاربة بالدين فهي المداهنة ، وإن كانت مع سلامة الدين فهي مداراة أي مدافعة ، وقد ثبت في الصحيح عن عائشة أنه استأذن على النبي ﷺ رجل فقال : ائذنوا له ، بئس أخو العشيرة هو ، أو ابن العشيرة ، فلما دخل ألان له الكلام ، فقلت له يا رسول الله : قلت ما قلت ، ثم ألنت له القول ، فقال لي يا عائشة : إن شر الناس منزلة من تركه أو ودَعَه الناس اتقاء فحشه))[١٧٣] .

٣. **كثرة الحلف على الحق والباطل ﴿ حَلَّافٍ ﴾** :

ومَنشأ ذلك الجهل بالله تعالى وعظمته ، إذ لو عرف ذلك لما أقدم على اسمه الجليل وصفاته الحسنى في كل صغيرة أو كبيرة بحق أو بغير حق[١٧٤] .

٤. **الشح ﴿ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ ﴾** :

على ما ذهب إليه أكثر المفسرين[١٧٥] .

٥. **قبح الأعمال المؤدية إلى كثرة الآثام ﴿ أَثِيمٍ ﴾**[١٧٦] .

٦. **الغلظة والجلافة ﴿ عُتُلٍّ ﴾**[١٧٧] .

٧. **العُجْب بالمال والبنين ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾** .

٨. **الافتراء وقلب الحقائق ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾** .

ب- الأخلاق الاجتماعية :

١. **المهانة ﴿ مَهِينٍ ﴾** :
وهي من آثار الكذب ، لأن من كان كثير الحلف كان كثير الكذب حقيرا عند الناس[١٧٨] .
٢،٣. الغيبة والتعييب ﴿ هَمَّازٍ ﴾[١٧٩] .
٤. **المشي بالنميمة ﴿ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾** .
٥. **الصد عن سبيل الله ﴿ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ ﴾** :
لأنه كان يمنع عن الإسلام ولده وعشيرته[١٨٠] .
٦. **التعدي على الغير ﴿ مُعْتَدٍ ﴾**[١٨١] .
٧. **السمعة القبيحة والشهرة بالشر ﴿ زَنِيمٍ ﴾ ، ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾**[١٨٢] .

وهناك أخلاق أخرى ذكرها الله عن المكذبين في مثاني السورة ، ولعل من أبرزها الاستكبار والحسد ، كما دلّ عليهما قوله تعالى : **﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾** (الآية٤٢) ، وقوله تعالى : **﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾** (الآية٥١) ، وقد سبق توضيح ذلك في معاني السورة وملامحها الخلقية .

ثانيا – الأخلاق المرذولة في قصة أصحاب الجنة (الآيات١٧-٣٣) :

عنوان قصة أصحاب الجنة هو البخل ، وهو من أرذل الأخلاق الشخصية والاجتماعية ، ويمكن تصنيف هذا النوع من البخل الوارد في السورة ضمن الأخلاق الاجتماعية الممنوعة ، لأنه جاء في إطار قصة اجتماعية تواطأ فيها أصحاب البستان على منع حق المساكين فيها ، فحين تغلبت النوازع المادية على أهلها طمست بصيرتهم فارتكسوا في حضيض الأخلاق ومستنقع الرذيلة .

ولئن كان الخلق الحسن يورث فضائل جمّة ، فإن الخلق السيء يورّط صاحبه في أمثالها ، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الظلم ،فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح قد أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »[١٨٣] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إياكم والشح ، فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا »[١٨٤] ، والشح والبخل معناهما متقاربان ، ويطلق كل منهما على الآخر ، إلا أن الشح أشد البخل لأنه يكون معه حرص[١٨٥] .

ولهذا فإن قصة أصحاب الجنة اشتملت على رذائل أخرى سببها البخل ، منها ما يلي :

١. **التعاون على الإثم والإصرار عليه ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾** (الآية١٧) ، **﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ(٢١)أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾** (الآيتان٢٢،٢١) .

٢. **هجر الطيب من القول والعمل الصالح** ﴿ **وَلَا يَسْتَثْنُونَ** ﴾ (الآية١٨) .

٣. **التنـاجي بـالإثم والعـدوان** ﴿ **فَـانطَلَقُوا وَهُـمْ يَتَخَـافَتُونَ(٢٣)أَنْ لَا يَـدْخُلَنَّهَا الْيَـوْمَ عَلَـيْكُمْ مِسْكِينٌ** ﴾ (الآيتان٢٣-٢٤) ، قال ابن عباس (ت٦٨هـ) رضي الله عنهما : « يتنجون السِّرار والكلام الخفي »[186] .

٤،٥. الغضب والحقد[187] ﴿ **وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ** ﴾ (الآية٢٥) ، « أي غدوا لا قدرة لهم إلا على الحنق والغضب على المساكين ، لأنهم يقتحمون عليهم جنتهم كل يوم فتحيلوا عليهم بالتبكير إلى جذاذها »[188] .

٦،٧. الظلم والطغيان : ﴿ **قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ (الآية٢٩) « في تركنا الاستثناء في قسمنا وعزمنا على ترك إطعام المساكين من ثمر جنتنا »[189] ، ﴿ **قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ** ﴾ (الآية٣١) « قال أصحاب الجنة : ياويلنا إنا كنا متعدين مخالفين أمر الله في تركنا الاستثناء والتسبيح »[190] .

* * *

ولعل هذا القدر من الأخلاق العملية فيه غنية عن الاستطراد ، ودلالة إلى ما يمكن أن يستنبط من مثاني سورة القلم ، ولا شك أن هذا المقدار قد نبه على ما في سائر القرآن الكريم من الآثار العظيمة للأخلاق التطبيقية .

فهذه السورة مع قصرها قد استبان فيها من الأخلاق العملية ما لو عمل بها من تذكر أو ألقى السمع وهو شهيد لاستقامت طريقته ، وذاق لذة أخلاق القرآن ، فهو يمشي بها في الناس .

والباب مفتوح لكل من تدبرها أو غيرها ليثوّر ما فيها من معاني أخلاق الكتاب المبارك : قال الله جل وعز : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** ﴾ (ص/٢٩)

الخاتمة :

تناولت هذه الدراسة – بعون الله وفضله – إبراز الهدايات القرآنية من خلال الجانب الخلقي لسورة القلم ، وذلك عن طريق التعرف على تاريخ نزولها ، وتفهم مقصدها ، وتدبر معانيها ، وإبراز ملامحها الخلقية ، واستنباط ما تضمنته من أسس الأخلاق .

وقد عني هذا البحث بتفسير السورة موضوعيا ، مع مراعاة الجوانب الأخرى التي تثري البحث ، مما يتعلق بشرح المفردات وبيان المناسبات ، والاهتمام بتوضيح مفهوم الأخلاق وأبعاده الدعوية ، والتركيز على تأصيل أسس الأخلاق المعرفية والتربوية والسلوكية من خلال سورة القلم .

كانت تلك محاولة لقراءة السورة من زاوية أخلاقية ، وقد انتهت إلى نتائج مهمة ، منها ما يلي :

أولا– سعة مفهوم الأخلاق وشموله في الإسلام .

ثانيا– بلغ الرسول ﷺ القمة في العظمة الأخلاقية ، فلم يُسبق إليها ، ولا يُلحق فيها ، لذلك كانت من الدلائل المعنوية على نبوته .

ثالثا– أن الإنسانية في تاريخها الطويل لم تعرف أخلاقا أخرى أكمل من القرآن وكان خلق الرسول ﷺ القرآن .

رابعا– حاجة البشرية إلى أن تعنى الدراسات العلمية والدقيقة بالبحث في مجال الأخلاق في القرآن والسنة ، والأخذ بالمفيد من معطياتها الجادة .

خامسا– دور الأخلاق في تأسيس الدعاة ، وإعدادهم لتحمل أعباء الدعوة ، ونشرها في العالم .

سادسا– أن القرآن الكريم قد زود نظامه الأخلاقي بقاعدة تربوية غاية في الكمال ، فما أجدر المقررات الدراسية التي تعنى بمادة الأخلاق والسلوك إلى أن تبنى مناهجها على هذا الأساس المتين وبهذا العمق بعيدا عن السطحية ، وسالمة من الثقافات الدخيلة .

ولقد حوى البحث في فقراته جملا أخرى من النتائج والحقائق أسأل الله أن ينفع بها .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت .

رب لا تؤاخذني إن نسيت أو أخطأت .

والحمد لله رب العالمين

الحواشي :

[1] دقائق التفسير ١٤/٥ .

[2] انظر ابن منظور : لسان العرب ، مادة (خلق) ٨٦/١٠ – ٨٨ ، وكذلك الرازي : مفاتيح الغيب ٨١/٢٩ .

[3] انظر ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، مادة (عود) ١٨٢/٤ .

[4] انظر ابن عطية : المحرر الوجيز ٢٨/١٥ .

[5] انظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢١٥/٨ .

[6] الطبري : جامع البيان ٩٨/١٩ .

[7] انظر السخاوي : جمال القراء ٣٤/١ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٢٢/١٨ .

[8] انظر ابن عطية : المحرر الوجيز ٢٤/١٥ ، ابن الجوزي : زاد المسير ٣٢٦/٨ .

[9] انظر ابن الضُّريس : فضائل القرآن ٣٣ ، السخاوي : جمال القراء ٧/١ .

[10] انظر ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مادة (خلق) ٢١٣/٢ .

[11] انظر البِقاعي : نظم الدُّرَر ٢٩٣/٢٠ .

[12] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٢٧/١٨ .

[13] انظر السخاوي : جمال القراء ٧/١ ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٥٨/٢٩ ، ٢٥٤ .

[14] انظر الشاطبي : الموافَقات ٢٤٩/٣ .

[15] انظر الشاطبي : الموافقات ٢٤٩/٣ .

[16] انظر دقائق التفسير ١٤/٥ .

[17] انظر سيد قطب : في ظلال القرآن ٣٦٥٢/٦ .

[18] ابن عطية : المحرر الوجيز ٢٥/١٥ .

[19] تفسير القرآن العظيم ٣١٢/٨ .

[20] انظر الآلوسي : روح المعاني ٢٣/٢٩ .

[21] ابن الجوزي : زاد المسير ٤٢٨/٨ .

[22] انظر الطبري : جامع البيان ٢٠/٢٩ ، الزجاج : معاني القرآن ٢٠٤/٥ .

[23] انظر ابن تيمية : دقائق التفسير ١٤/٥ .

[24] انظر محمد شلتوت : إلى القرآن الكريم ١٤١ ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٦٠/٢٩ .

[25] انظر ابن تيمية : دقائق التفسير ٦٣/٥ ، ١٧٠ .

[26] محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٦٠/٢٩ .

[27] ابن تيمية : دقائق التفسير ١٥/٥ .

[28] انظر الرازي : مفاتيح الغيب ٨٠/٢٩ ، د. عبد الراضي محمد : نبي الإسلام ٢١٢ .

[29] د. عبد الراضي محمد : نبي الإسلام ٢١٣ .

[30] أخرجه البخاري في صحيحه : باب بدء الوحي ٣/١ ، ومسلم أيضا ١٣٩/١ رقم الحديث ٢٥٢ وفيه زيادة « وتَصْدُق الحديث » .

[31] **البداية والنهاية ٥٤٩/٨ .**

[32] انظر ابن تيمية : دقائق التفسير ١٥/٥ .

[33] أخرجه الطبري بهذا اللفظ في تفسيره ١٩/٢٩ ، وهو في صحيح مسلم من الحديث الطويل في باب جامع صلاة الليل ٥١٣/١ رقم الحديث ٧٤٦ .

[34] انظر الطبري : جامع البيان ١٨/٢٩ .

[35] أخرجه أحمد في مسنده ٥١٣/١٤ رقم الحديث ٨٩٥٢ وصححه محققوه .

[36] تفسير القرآن العظيم ٢٨٢/١ .

[37] دقائق التفسير ١٩٣/٦ .

[38] انظر د. عبد الراضي محمد : الأخلاق بين النظرية والتطبيق ٨٧ .

[39] محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٦٥/٢٩ .

[٤٠] الزجاج : معاني القرآن ٢٠٥/٥ .

[٤١] انظر أبا حيان : البحر المحيط ٣٠٩/٨ .

[٤٢] الزمخشري : الكشاف ١٤٢/٤ .

[٤٣] الطبري : جامع البيان ٢٢/٢٩ .

[٤٤] صحيح البخاري : كتاب الأدب ((باب ما يكره من النميمة)) ٨٦/٧ .

[٤٥] الطبري : جامع البيان ٢٣/٢٩ .

[٤٦] انظر الزجاج : معاني القرآن ٢٠٦/٥ ، الراغب : المفردات ، مادة (زنم) ٢١٥ .

[٤٧] ابن تيمية : دقائق التفسير ١٧/٥ .

[٤٨] انظر الزجاج : معاني القرآن العظيم ٢٠٧/٥ .

[٤٩] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٦٤/١٦ .

[٥٠] المصدر السابق .

[٥١] انظر محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٧١/٢٩ .

[٥٢] انظر ابن عطية : المحرر الوجيز ٣٢/١٥ ، المصدر السابق .

[٥٣] دقائق التفسير ١٨/٥ .

[٥٤] الزجاج : معاني القرآن ٢٠٧/٥ .

[٥٥] الراغب : المفردات ، مادة (صرم) ٢٨٠ .

[٥٦] الزمخشري : الكشاف ١٤٤/٤ .

[٥٧] انظر المصدر السابق ، ابن الجوزي : زاد المسير ٣٣٥/٨ .

[٥٨] انظر ابن عطية : المحرر الوجيز ٣٩/١٥ ، ابن الجوزي : زاد المسير ٣٣٦/٨ .

[٥٩] انظر المصدرين السابقين ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٨١/٢٩ .

[٦٠] انظر ابن الجوزي : زاد المسير ٣٣٦/٨ .

[٦١] محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٨٢/٢٩ .

[٦٢] الراغب المفردات مادة (حرد) ١١٣ .

[٦٣] انظر الطبري : جامع البيان ٣٤/٢٩ .

[٦٤] ابن عطية : المحرر الوجيز ٣٢/١٥ .

[٦٥] انظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢٢٣/٨ .

[٦٦] انظر محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٧٩،٨١/٢٩ .

[٦٧] انظر ابن تيمية : دقائق التفسير ١٧،١٨/٥ .

[٦٨] انظر المصدر السابق ١٨/٥ .

[٦٩] محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٨٨/٢٩ .

[٧٠] الزجاج : معاني القرآن ٢٠٩/٥ .

[٧١] الطبري : جامع البيان ٣٧/٢٩ .

[72] أخرجه البخاري في صحيحه : « كتاب التفسير » ، « سورة ن والقلم » ٧٢/٦ ، ومسلم في صحيحه بنحوه : « باب معرفة طريق الرؤيا » ١٦٨/١ رقم الحديث ١٨٣ .

[73] الزمخشري : الكشاف ١٤٧/٤ .

[74] المصدر السابق ١٤٨/٤ .

[75] محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٩٠/٢٩ .

[76] انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٥١/١٨ ، المصدر السابق ١٠٢/٢٩ .

[77] دقائق التفسير ١٨/٥ .

[78] انظر الطبري : جامع البيان ٤٥/٢٩ ، ابن عطية : المحرر الوجيز ٤٥/١٥ .

[79] المحرر الوجيز ٤٥/١٥ .

[80] انظر الزمخشري : الكشاف ١٤٩/٤ .

[81] معجم مقاييس اللغة ، مادة (زلق) ٢١/٣ .

[82] انظر الطبري : جامع البيان ٤٦/٢٩ .

[83] انظر المصدر السابق .

[84] انظر البقاعي : نظم الدر ٣٣٦/٢٠ .

[85] انظر ابن تيمية : دقائق التفسير ١٠٨/٥ .

[86] المصدر السابق ١٦/٥ .

[87] د. عبد الراضي محمد : الأخلاق بين النظرية والتطبيق ٧٧ .

[88] د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن الكريم ٢١ .

[89] د. عبد الراضي محمد : الأخلاق بين النظرية والتطبيق ٧٤ .

[90] أبو السعود : إرشاد العقل السليم ٢٠/٩ .

[91] د. محمد عبد الله عفيفي : النظرية الخلقية عند ابن تيمية ١٣٣ .

[92] انظر الطبري : جامع البيان ٣٦/٢٩ ، البقاعي : نظم الدرر ٣١٦/٢٠ .

[93] انظر أبا السعود : إرشاد العقل السليم ٧/٩ .

[94] الآلوسي : روح المعاني ٣٣/٢٩ .

[95] دقائق التفسير ١٦٤/٥ .

[96] د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ٣٤ .

[97] الطبري : جامع البيان ٣٧/٢٩ .

[98] د. محفوظ علي عزام : الأخلاق في الإسلام ٣٧ .

[99] انظر د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ٢٢٢ ، د. محمد عبد الستار : دراسات في فلسفة الأخلاق ٣٧٠ .

[100] محمد الغزالي : خلق المسلم ٢٨ .

[101] البقاعي : نظم الدرر ٣٢٠/٢٠ .

[102] المصدر السابق .

[103] ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢٢٤/٨ .

[104] الطبري : جامع البيان ٣٧/٢٩ .

[105] محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٦٣/٢٩ ، وانظر البقاعي : نظم الدرر ٢٩١/٢٠ .

[106] محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٩٠/٢٩ .

[107] انظر أبا السعود : إرشاد العقل السليم ١٧/٩ ، البقاعي : نظم الدرر ٣١٧/٢٠ .

[108] انظر ابن تيمية : دقائق التفسير ١٧/٥ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢٢٠/٨ .

[109] ابن عطية : المحرر الوجيز ٣٧/١٥ .

[110] انظر د. محفوظ علي عزام : الأخلاق في الإسلام ٣٩ .

[111] انظر الآلوسي : روح المعاني ٢٩/٢٩ .

[112] محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٧٨/٢٩ .

[113] أبو حيان : البحر ٣١١/٨ .

[114] انظر الغزالي : إحياء علوم الدين ٢٥٩/٣ .

[115] انظر د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن الكريم ٣٤٧ .

[116] ابن تيمية : دقائق التفسير ٨/٥ .

[117] ابن الجوزي : زاد المسير ٣٣٦/٨ .

[118] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/١٨ .

[119] انظر ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٢٩٠/١٥، د. محمد عبد الله عفيفي : النظرية الخلقية ٣٦٥ .

[120] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/١٨ .

[121] ابن عطية : المحرر الوجيز ٤٢/١٥ .

[122] انظر رابعا من مبحث معاني السورة وملامحها الخلقية .

[123] انظر الطبري : جامع البيان ٤٣/٢٩ .

[124] ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢٢٥/٨ .

[125] جامع البيان ٤٤/٢٩ .

[126] أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب التفسير ، سورة هود ، « باب قوله : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى ﴾ ٢١٤/٥ ، ومسلم في صحيحه ، « باب تحريم الظلم » ١٩٩٨/٤ ، رقم الحديث ٢٥٨٣ .

[127] جامع البيان ٤٤/٢٩ .

[128] جامع الرسائل ٢٦٩/١ .

[129] انظر ابن حجر : فتح الباري ٢٠٦/١٣ .

[130] أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الأنبياء ، « باب قول الله تعالى ﴿ وإن يونس لمن المرسلين ﴾ » ١٣٢/٤ ، ومسلم في صحيحه « باب في ذكر يونس عليه السلام » ١٨٤٦/٤ رقم الحديث ٢٣٧٧ .

[131] انظر د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق ٦٢٧ ، سيد قطب : في ظلال القرآن ٣٦٧٠ .

[132] انظر د. عبد الراضي محمد : الأخلاق بين النظرية والتطبيق ٧٧ .

[133] انظر د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق ٦٧٧ .

[134] انظر د. عبد الراضي محمد : الأخلاق بين النظرية والتطبيق ٨٠ .

[135] انظر الرازي : مفاتيح الغيب ٨٣/٢٩ .

[136] انظر ابن تيمية : دقائق التفسير ١٥/٥ .

[137] الغزالي : إحياء علوم الدين ٦٠/٣ .

[138] ابن عطية : المحرر الوجيز ٤٢/١٥ .

[139] انظر الرازي : مفاتيح الغيب ٩٠/٢٩ ، محمد القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٤/١٨ .

[140] الكشاف ١٤٥/٤ .

[141] الطبري : جامع البيان ٤٤/٢٩ .

[142] انظر د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق ٢٨٦ .

[143] انظر ابن تيمية : دقائق التفسير ١٩٣/٦ .

[144] محمد الغزالي : خلق المسلم ١٦ .

[145] الأخلاق والسير ١٩٥ .

[146] سيد قطب : في ظلال القرآن ٣٦٧٠/٦ .

[147] الرازي : مفاتيح الغيب ٨٠/٢٩ .

[148] انظر المصدر السابق ٨١/٢٩ ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٦٤/٢٩ .

[149] سبقت الإشارة إلى الحديث الوارد بهذا المعنى في معاني السورة وملامحها الخلقية .

[150] انظر ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٣٣٨/١٥ .

[151] الأخلاق والسير ١٠٩ .

[152] د. عبد الراضي محمد : الأخلاق بين النظرية والتطبيق ٨٤ .

[153] ابن تيمية : جامع الرسائل ٥٥/١ .

[154] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/١٨ .

[155] انظر د. مقداد يالجن : دور التربية الأخلاقية الإسلامية ١٢ .

[156] انظر القدوة الحسنة في الأساس الثاني – الوسائل الدافعة ، وكذلك افتتاحية السورة من مبحث معاني السورة وملامحها الخلقية .

[157] ابن كثير : البداية والنهاية ١٢٢/٤ .

[158] سبق التعليق على هذه الآية في مبحث معاني السورة وملامحها الخلقية .

[159] مفتاح دار السعادة ٣٧٣/١ .

[160] انظر ابن تيمية : دقائق التفسير ١٩/٥ .

[161] انظر المصدر السابق ١٩٣/٦ .

[162] القاضي عياض : الشفا ١٤٤/١ .

[163] أخرجه مسلم في صحيحه ، « باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا ، وكثرة عطائه » ١٨٠٥/٤ ، رقم الحديث ٢٣١١ .

[164] أخرجه مسلم في الباب السابق ١٨٠٦/٤ ، رقم الحديث ٢٣١٢ .

[165] أخرجه مسلم في صحيحه ، « باب استحباب الاستغفار ... » ٢٠٧٦/٤ ، رقم الحديث ٢٧٠٢ .

[166] أخرجه أحمد في مسنده ٣٦٤/١٢ ، رقم ٧٤٠٢ ، وقال محققوه : « حديث صحيح » .

[١٦٧] مجموع الفتاوى ٦٥٩/١٠ .

[١٦٨] أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب النكاح ، ,, باب الترغيب في النكاح ,, ١١٦/٦ .

[١٦٩] انظر ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٣٣٨/١٥ .

[١٧٠] أما ما يتعلق بيونس عليه السلام من العجلة والغضب فقد أشرت إليه في رقم ٦ من الأخلاق الشخصية تأدبا مع يونس عليه السلام .

[١٧١] **الأنعام /٣٣ .**

[١٧٢] انظر الماوردي : أدب الدنيا والدين ٢٩٢ .

[١٧٣] أحكام القرآن ١٨٥٦/٤ ، والحديث الذي ذكره أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الأدب ، ,, باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب ,, ٨٦/٧ ، وأخرجه مسلم في باب ,, مداراة من يُتقى فحشه ,, ٢٠٠٢/٤ ، رقم الحديث ٢٥٩١ .

[١٧٤] انظر الرازي : مفاتيح الغيب ٨٤/٢٩ .

[١٧٥] انظر ابن عطية : المحرر الوجيز ٣٢/١٥ .

[١٧٦] انظر المصدر السابق ٣٢/١٥ .

[١٧٧] انظر الرازي : مفاتيح الغيب ٨٤/٢٩ .

[١٧٨] انظر ابن تيمية : دقائق التفسير ١٧/٥ .

[١٧٩] انظر معاني السورة وملامحها الخلقية — ثانيا .

[١٨٠] انظر ابن عطية : المحرر الوجيز ١٧/١٥ ، الرازي : مفاتيح الغيب ٨٤/٢٩ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٣٢/١٨ .

[١٨١] انظر ابن تيمية : دقائق التفسير ١٧،١٨/٥ ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في مبحث معاني السورة وملامحها الخلقية .

[١٨٢] انظر المصدر السابق ، وقد سبق شرح المفردات الغريبة في المبحث الخاص بمعاني السورة وملامحها الخلقية .

[١٨٣] أخرجه مسلم في صحيحه ، ,, باب تحريم الظلم ,, ١٩٩٦/٤ ، رقم الحديث ٢٥٧٨ .

[١٨٤] أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٨/١١ ، رقم الحديث ٦٧٩٢ ، وصحّحه محققوه .

[١٨٥] انظر الراغب الأصفهاني : مفردات القرآن مادة (شح) ٢٥٦ ، ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ، مادة (شح) ٤٤٨/٢ .

[١٨٦] صحيح البخاري ،كتاب التفسير ، " سورة ن والقلم " ٧١/٦ .

[١٨٧] انظر ابن عطية : المحرر الوجيز ٤١/١٥ ، ابن حجر : فتح الباري ٣٠٤/١٨ .

[١٨٨] محمد الطاهر : التحرير والتنوير ٨٥/٢٩ .

[١٨٩] الطبري : جامع البيان ٣٥/٢٩ .

[١٩٠] المصدر السابق .